

لماذا يُعتبر الأمير بن سلمان "تركيا العثمانية" الضّلع الأخطر في محور الشّرّ الْثُّلاثي؟



وهل منع مسلّلاتها سيد من تمددها الاستراتيجي في المنطقة؟ ولماذا لم يؤيد أردوغان حرب اليمن مطلقاً.. هل هو التحالف "المتوقع" بين المرجعيات "الهاشمية" و"العثمانية" و"قم"؟

عبد الباري عطوان

رغم أن السفارة السعودية في أنقرة وصفت التقارير المُتعددة التي نشرتها وأذاعتتها عدّة صحف ومخطّات تلفزة مصرية بأزها "مختلقة"، وقالت "أن الأمير بن سلمان كان يُشير إلى ما يُسمى بجماعة "الإخوان المسلمين" والجماعات المُتطرفة، فإن ما ذكره الأمير بن سلمان لم يكن "رلة لسان"، وإنما جاء انعكاساً لموقف استراتيجيٍّ "يتبلور" من قبل الدُول الأربع السنوية الرئيسية المُقاطعة لدولة قطر، يرى في تركيا، وقيادتها الحالية الممثلة في الرئيس رجب طيب أردوغان، تهديداً لها ولأمنها واستقرارها.

مسؤول خليجي كبير التقى بعده من الدبلوماسيين في عاصمة أوروبية الأسبوع الماضي قال بالحرف

الواحد أن هذا التحالف الرباعي (السعودية والإمارات، مصر والبحرين) يعتبر تركيا أكثر خطورةً من إيران بسبب سياستها التي تُريد الهيمنة على المنطقة بأسرها، وتحويل إسطنبول إلى مرجعية ونموذج للعالم الإسلامي بشقيه السنوي والشيعي معًا، وتتبني الإسلام السياسي المُتمثل في حركة "الإخوان المسلمين" العابرة للحدود والقارات.

الرئيس أردوغان أقام نموذجًا يراه الكثير من المسلمين قدوة تُحتذى لأنه يرتکز على أربع أسس: الإسلام المعتدل والمتسامح، والديمقراطية، والعلمانية، والنمو الاقتصادي، وعكس ذلك في محاكاة العديد من الأحزاب الإسلامية له، بل واقتباس اسم "العدالة والتنمية"، اسم الحزب الحاكم في تركيا الذي قدّم هذا النموذج، ويَعمل على نشره في منطقة الشرق الأوسط بشكلٍ خاص والعالم الإسلامي بشكلٍ عام، بكل الوسائل السياسية والثقافية والاقتصادية، مُتَبعًا نهج المسلمين الأوائل في نشر الإعلام في آسيا وغَيرها.

تبني الرئيس أردوغان للإسلام السياسي، ودعمه لحركة "الإخوان المسلمين"، وفتح أراضي بلاده لها، وأجهزتها الإعلامية، يأتي في إطار هذه الاستراتيجية، الأمر الذي يُثير قلق المملكة العربية السعودية ومصر والإمارات، الدُّول التي تتبنّى سياسات معاودية لهذه الحركة، وتمدّدها في المنطقة، بل وتعتبرها أكثر خطورةً من "الدولة الإسلامية" وتنظيم "القاعدة"، لإرثها التاريخي الذي يمتد لأكثر من ثمانين عامًا، وقاعدتها الشعبية العريضة.

هُناك أربع مراجعات إسلامية سنوية في المنطقة، مرجعية الحرّاجز (مكة المكرمة والمدينة المنورة) وهي الأولى، ومؤسسة الأزهر الشريف وهي الثانية، و"الهاشمية" في الأردن وشمال اليمن وهي الثالثة، والمرجعية العثمانية وعاصمتها إسطنبول وهي الرابعة، وهُناك مرجعية إسلامية خامسة تتمثل في كُل من النجف الأشرف في العراق، وقم في إيران.

الحروب بين المرجعيات لم تتوقف مطلقاً طوال القرون العشر الماضية، ابتداءً من الصدراع الصيفي العثماني (1636 – 1623)، ومُرورًا بدولة الفاطميين في مصر عام (969م – 1171)، وانتهاءً بدخول إبراهيم باشا الدرعيّة عاصمة الدولة السعودية وتدميرها عام 1819م، وبين هذه المحطّات الكُبرى هُناك العديد من المحطّات والصراعات الصغيرة، والتّحالفات العابرة السّريعة، ما زالت تَطُول برأسها في هذه الأيام، مثل التحالف الهاشمي العثماني الوليد وبين الأزهر ومكة المكرمة.

الرئيس أردوغان لم يُخفِ مطلقاً طموحاته في إعادة إحياء إمبراطورية الخلافة العثمانية، وكانت شاهدةً على أهم مهرجان في هذا الصدد، عندما دُعيت لحضور آخر مؤتمر لحزب العدالة والتنمية بترأسه الرئيس أردوغان (لانتهاء فترته) أُقيم في ملعب لكرة السلة في أنقرة في أيلول (سبتمبر) عام 2012، وكان من أبرز ضيوفه المدعوهين الرئيس المصري السابق محمد مرسي، والسيد خالد مشعل، رئيس

المكتب السياسي لحركة "حماس" في حينها، والسيد مسعود البارزاني، رئيسإقليم كردستان العراق وأثيل النجيفي محافظ الموصل وزُبْخة من قادة الأحزاب الإسلامية.

ما لفت نظري أن الرئيس أردوغان في خطابه الحزبي "الداعي"، نَطَقَ بأسماء جميع الخُلفاء العُثمانيين الواحد تلو الآخر، وَسَطَ تصفيق وَهَتافات غير مَسبوقة من أعضاء الحزب الذين امتلأ بهم الملعب وفاق عَددهم خَمسة آلاف عَضُو على الأقل.

الخُلفاء الأربع اكتشفوا خُطورة العُثمانية التركية بعد "ثورات" الربيع العربي، وتدمر سوريا وقبلها العراق، ولعبوا دوراً فاعلاً في عملية التدمير هذه، وَضَخ عشرات المليارات من الدولارات والأسلحة جنباً إلى جنب مع تركيا الإسلامية "الإخوانية" وتحت رعاية المظلة الأمريكية، أي أن تركيا أردوغان لم تتغير وثابتة وهم المُتحولون.

الرئيس أردوغان، اتفقنا معه أو اختلفنا، (مَنْعني من دُخُولِ بلاده)، يَمْلُك مشروعَا سياسياً استراتيجياً مُتكاملاً، ويُسخّر الاقتصاد والثقافة، علامةً على القواعد العسكرية لخدمة هذا المشروع وتطويره، فقد استغل ثغرة الخلاف القطري مع الدُول الأربع لإقامة قاعدة عسكرية في منطقة العيديد في قلب الخليج العربي، قوامها 30 ألف جندي، والعَدُد في تزايد، وانْتَزع السودان من التحالف العربي في حرب اليمن، وأسس قاعدة عسكرية اقتصادية في منطقة سواكن على شواطئ البحر الأحمر، وأُخْرى قبلها في الصومال، ووقع اتفاقيات تجارية استراتيجية مع الجزائر وموريتانيا، واستضاف قمة إسلامية في إسطنبول حَمَّلت مُمثلي ثلاث مرجعيات، الهاشمية (الملك عبد الله الثاني، الذي صَلَّى على النبي العربي الهاشمي في كبرته في الاجتماع، وقم) (حسن روحاني)، إلى جانب المرجعية العثمانية المُمثَّلة في شخصه.

ولا نعتقد أن امتناع تركيا والأردن عن تأييد حرب المحور السعودي في اليمن جاء من قبيل الصدفة، وإنما في إطار حسابات دقيقة، وينسى كثيرون أن حركة "أنصار الله" الحوثية ترفع الأعلام الهاشمية.

وكان لاْفَتَـداً أن الرئيس أردوغان حرص على علاقات وثيقة مع إيران وجارتها العراق، وهذا هو يَسْتعد لاستضافة قمة ثلاثة يَحضرها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين والإيراني روحاني، واختار لها مدينة إسطنبول، وليس العاصمة "العلمانية" أنقرة.

إذا كانت تركيا العثمانية تُشكِّل خَطراً أكبر من الخطير الإيراني، فلماذا ظَمِّلت دُول التحالف الأربع على المشاركة في الحرب على سوريا، وقبلها العراق اللتين كانتا تُشكِّلان مدمماً المشروع العربي؟

الفَرق بين العثمانية التركية وخصومها الجُدد أن الأولى تَمْلُك استراتيجية وبرامج تطبيق ثابتة ومدرستها، أمّا الثانية فكُلُّ سياساتها وتحرّكها تقوم على أساس ردود الفعل، ومُعظمها

مُتقلاً بـه ولا تـملـك رؤـية بـعـيدة المـدى، وـتحـالـفـها "ـهـوـائـيـةـ" وـ"ـمـتـغـيـرـةـ".

ـالـتحـالـفـ مع إـسـرـائـيلـ لـنـ يـادـفعـ بـهـاـ لـضـربـ إـيرـانـ، نـيـابـةـ عنـ حـلـفـ الـاعـدـالـ الـعـرـبـيـ، وـلـاـ نـعـتـقـدـ أـنـ مـنـعـ بـثـ المـسـلـسـلـاتـ التـرـكـيـةـ سـيـوـقـهـ التـمـدـدـ التـقـافـيـ وـالـسـيـاسـيـ وـالـعـسـكـريـ التـرـكـيـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ، لـيـسـ لـأـنـ هـذـاـ الـمـنـعـ جـاءـ مـتـأـخـرـاـ، وـبـعـدـ أـنـ اـعـطـىـ أـوـكـلـهـ وـإـنـّـمـاـ لـأـنـ هـنـاكـ مـحـطـاتـ تـلـفـزـيونـيـةـ عـدـيـدةـ سـتـلـقـةـ فـيـ هـذـهـ الـمـسـلـسـلـاتـ وـتـتـوـلـىـ عـرـضـهـاـ فـيـ ظـلـ فـضـاءـ إـلـاعـامـيـ مـفـتوـحـ، وـمـدـعـفـ الـبـدـائـلـ الـمـصـرـيـةـ وـالـسـورـيـةـ الـأـخـرىـ لـأـسـبـابـ لـيـسـ هـنـاـ الـمـجـالـ لـسـرـدـهـاـ.

ـالـخـطـأـ الـاسـتـراتـيـجيـ الـأـكـبـرـ الـذـيـ اـرـتـكـبـهـ أـرـدوـغـانـ فـيـ تـمـثـيـلـهـ فـيـ رـأـيـنـاـ فـيـ وـقـوعـهـ فـيـ الـمـصـيـدـةـ الـسـورـيـةـ، وـالـخـطـأـ الـاسـتـراتـيـجيـ الـأـكـبـرـ وـالـأـكـبـرـ فـدـاحـةـ الـذـيـ اـرـتـكـبـهـ خـصـومـهـ الـجـددـ أـنـهـمـ وـقـعواـ فـيـ الـمـصـيـدـةـ نـفـسـهـاـ وـهـمـ مـفـتوـحـوـ الـأـعـيـنـ، وـكـانـواـ كـمـنـ يـمـلـأـقـ الرـصـاصـ عـلـىـ فـدـمـهـ.

ـالـسـؤـالـ هوـ: مـنـ سـيـفـوـزـ فـيـ سـيـاقـ الـمـعـالـحةـ مـعـ سـورـيـةـ الـتـيـ تـسـيـرـ بـخـطـىـ مـتـسـارـعـةـ عـلـىـ طـرـيقـ التـّـعـاـفيـ، وـبـمـسـاعـدـةـ الـحـلـيـفـيـنـ إـلـيـرـانـيـ وـالـرـوـسـيـ، وـيـرـمـمـ أـخـطـاءـهـ الـاسـتـراتـيـجيـةـ بـالـتـّـالـيـ، تـرـكـياـ أـمـ خـصـومـهـاـ؟ـ الـسـيـاقـ بـدـأـ فـعـلاـ، وـلـعـبـ الـمـنـتـخـبـ السـعـودـيـ الـأـخـضرـ مـبـارـاـةـ كـروـيـةـ عـلـىـ أـرـضـ الـعـرـاقـ وـسـطـ اـسـتـقـبـالـ حـافـلـ بـعـدـ عـقـودـ مـفـتوـحـةـ، مـؤـشـرـ مـهـمـ فـيـ هـذـاـ الـسـيـاقـ.. وـنـتـرـكـ الإـجـابـةـ لـلـشـهـورـ الـمـعـقـلـةـ؟ـ